المحاضرة الأولى

اللسانيات البنيوية

المحتويات:

1-البنيوية

2-البنيوية ودراسة النص السردي

3-البنيوية ودراسة النص الشعري

المحاضرة الأولى: اللسانيات البنيوية

1-البنيوية :

1-أ/ مفهوم البنية :

يعرف "لالاند A. LALANDE" البنية كالتالي « بمعنى خاص و جديد تستعمل البنية من أجل تعيين كل مكّون من ظواهر متضامنة بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر الأخرى و لا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل .هذه الفكرة هي الأساس فيما نسميه أيضا بنظرية الصيغ».[1]

أما" كلود ليفي أشتراوس C. L– STRAUSS " فيّعرف البنية بقوله : « البنية تحمل – أولا و قبل كل شيء – طابع النسق أو النظام فالبنية تتألف من عناصر من شأن أي تّحول يعرض للواحد منها أن يحدث تّحولا في باقي العناصر الأخرى ».[2]

و يّعرفها " ألبير سوبول": « إن مفهوم البنية لهو مفهوم العلاقات الباطنة الثابتة المتعلقة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء بحيث لا يكون من الممكن فهم أي فهم أي عنصر من عناصر البنية خارجا عن الوضع الذي يشغله داخل تلك البنية».[3]

كما قّدم لنا عالم النفس السويسري المشهور "جان بياجيه" تعريفا علميا دقيقا و شاملا لكلمة " بنية"، حيث يقول: « تبدو البنية بتقدير أولي ؛ مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقى أو تغتني بلعبة التحولات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو أن تستغيث بعناصر خارجية و بكلمة موجزة؛ تتألف البنيّة من ثلاث مميزات:الجملة و التحولات، و الضبط الذاتي» .[4]

فالبنية حسب جان بياجيه تتميز بثلاث خصائص هي:

1-الكلية أو الشمولية

و تعني هذه السمة خضوع العناصر التي تشكل البنية لقوانين كمجموعة أو الكل ككّل واحد . فهي التي تحيل على التماسك الداخلي للعناصر التي ينتظمها النسق.

2-التّحول (التحولات)

و تعني أن " الكل البنائي " أوهذه المجموعة أو المجموعات التي يمكن أن تطلق عليها " **الكل** " تنطوي على ديناميةّ ذاتية، أو حركة ذاتية، هذه الديناميكية تتألف من سلسلة من التغيرات الباطنية .

بمعنى أّنها تغيرات تحدث داخل النسق أو النظام و تنبع منه. و من هنا نفهم أن التّحول يفيد أن البنية نظام من التحولات لا يعرف الثبات، فهي دائمة التّحول و التّغير ، و لا تستقر على شكل واحد.

3- التنظيم الذاتي

أي أن البنية في وسعها تنظيم نفسها بنفسها، فهي التي تضبط نفسها بنفسها، الأمر الذي يحفظ عليها وحدتها، و يكفل لها المحافظة على بقائها، و يحقق لها ضربا من " الإنغلاق الذاتي " أي أن تحولاتها الداخلية لا تقود أبعد من حدودها. و أنهاتولّد دائما عناصر تنتمي إلى البني ة ّنفسها.[5]

فهذه الخاصية هي التي تتكفل بوقاية البنية و حمايتها و حفظها حفظا ذاتيا ينطلق من داخل تكوينها الذاتي (أيالبنيةّ) لا من خارج حدودها؛ فهي تستمد تنظيمها من عناصرها المشكلة لكينونتها.

يقول زكريا ابراهيم في تعليقه على تعريف "البنية" عند كل من " جان بياجيه "و" كلود ليفي اشتراوس: "أّنهما يتفقان على أّن البنية هي القانون الذي يحكم تكون المجامع الكلية من جهة و معقوليةّ تلك المجامع الكليةّ من جهة أخرى، و معنى هذا أّن بيت القصيد في كل" بنية " إّنما هو« وحدة تنوعها أو تغيراتها المتفاضلة» [6].

أما العالم اللغوي السويسري "فردناند دي سوسير F.D Saussure " فكان يعبر عن مصطلح "البنية "بالنسق أو النظام Système " و لم يمكن يصدع بمصطلح "البنية Structure" . وجمهور الدارسين أجمعوا على أن دي سوسير في إلحاحه على نظامية الاستعمال اللغوي، قد سمى " نسقا "ما سماه خلفه" بنية."

و إذا عدنا إلى تعريفات" البنية "في الدراسات العربية فإننا نجدها تتفق جلها تقريبا في المفهوم القائل بأن البنية نظام أو نسق فمفهوم البنية حسب " سمير سعيد حجازي " يشير إلى « النظام المتسق الذي تتحّدد كل أجزاءه بمقتضى رابطة تماسك تجعل من اللغة منتظمة من الوحدات أو العلامات التي تتفاضل و يحّدد بعضها بعضا على سبيل التبادل».[7]

و يمكننا أن نختم هذه السلسلة من تعاريف البنية بالقول: « إن البنية هي الكل المكّون من مجموعة الأجزاء المرتبطة بينها بشكل يصبح لا معنى للجزء بدون علاقته مع الأجزاء الأخرى ، و لا يمكن فهم البنية إلا من خلال الكل المترابط في عناصره الجوهرية و الثابتة التي لا تتأثر بتّغير الوضعيات و المواقف ».[8]

1-ب/مفهوم البنيوية

عرف "يلمسليف" اللسانيات البنيوية بقوله: " تعني مجموعة من البحوث التي تصف اللغة باعتبارها كيانا مستقلا من العلاقات الداخلية أو قل في كلمة إنها بنية". وهي تحدد الظاهرة اللغوية، بأنها لا تكمن في واقعها الفيزيائي، وإنما في الدور الذي يقوم داخل النظام اللغوي، ولذلك يسمى بالسمة التمييزية.

فالبنية نسق (النسق في اللغة أو ما كان على نظام واحد، ينطوي على استقلال ذاتي من العلاقات الباطنية، له قوانينه الخاصة ويتصف بالوحدة الداخلية و الانتظام الذاتي).

1-جـ/خصائص البنيوية

تتميز البنية بخصائص ثلاث هي: الكلية أو الشمول. التحول. التنظيم الذاتي.

1-د/مبادئ الفكر البنيوي و بعدها اللساني:

لقد قدمت اللسانيات أسسا ومعايير و نموذجا للمنهج البنيوي في حقل الدراسات الأدبية. ومن هنا لا يمكن الإحاطة بجوهر البنيوية دون فهم عميق لأسسها ومرجعياتها التي تعود إلى اللسانيات.

- معنى عنصر ما لا يتحدد إلا في ضوء قواعد النظام الذي ينتمي إليه هذا العنصر.
- معنى عنصر ما لا يتحدد إلا بعلاقته الخلافية أو التعارضية مع بقية عناصر النظام.
- الاهتمام بالاعتبارات الآنية بالقياس إلى الاعتبارات التاريخية، إذ أخذت البنيوية بالمبدأ اللساني الذي يقوم على الدراسة الآنية.

1-هـ/مفهوم البنيوية للخطاب.

من خصائص الدراسة البنيوية أن يُعتمد على التحليل المحايث، والمحايثة من أهم سمات البنيوية ومعناها في عرف المدارس البنيوية أن النص –أو الملفوظ– لا يحلل إلا انطلاقا من خواصه الداخلية، فهذه الخواص هي التي تمكن من تحديد الملفوظ باعتباره بنية مغلقة من شأنها أن توصف من حيث هي، بقطع النظر عن كل سيرورة تاريخية.

"جيرار جينيت" في تعريفه للبنيوية يؤكد على أنها هي "النظرية العامة للأشكال الأدبية" والشكل الأدبي، هنا، ليس إلا الخصائص النوعية للأدب، وهذه الخصائص لا يمكن البحث عنها إلا من خلال "الخطاب".

2-البنيوية ودراسة النص السردي:

في دراسته الهامة "مقولات السرد الأدبي" في العدد الثامن من تواصلات، ينطلق "تودوروف" من تمييز "توماشفسكي" بين المتن والمبنى، فيؤكد أن لكل حكي أدبي مظهران متكاملان، إنه في آن واحد قصة وخطاب.

- القصة تعني الأحداث في ترابطها و تسلسلها، و في علاقاتها بالشخصيات في فعلها وتفاعلها.
- والخطاب يظهر لنا من خلال وجود الراوي الذي يقوم بتقديم القصة، وما يهمنا ليس القصة بل الطريقة التي بواسطتها يجعلنا السارد نتعرف على تلك الأحداث.

(أي أن القصة = البنية السردية / و الخطاب = الخطاب السردي)

وتتفق المناهج النقدية بالرغم من اختلاف مذاهبها على أنّ دراسة الفن السردي لا بد أن تنطلق من :[9]

- البنية السردية بما تتضمنه بنياتها الداخلية من خصائص نوعية، حيث ترتبط عناصر التكوين السردي فيما بينها بعلاقات ذات صبغة وظيفية وتقنية وتعمل على تأسيس النص الروائي (الخطاب السردي) وفق أساليب متنوعة تحددها ضوابط البنية السردية.
- الكشف عن خصائص الخطاب السردي الذي يتمثّل في النص الروائي الحامل لإرسالية لغوية يتجاذبها طرفان (المرسل = الراوي، والمرسل إليه = المروي له).

حظيت دراسة البنية السردية خلال القرن العشرين باهتمام الباحثين والنقّاد، نذكر من أعلامهم الأولين: غريماس Greimas وتودوروف Todorov ، وبارت Barthes ، وجينت Gentte ، وبريموند Bremond و غيرهم ممن عملوا على تطوير النظرية النقدية حول بنية السرد وحول الموضوعات التي تخصها، مستفيدين من تطور المناهج النقدية عموماً، ومن المنهجين البنيوي واللساني خصوصاً.

اعتمد التحليل البنيوي على تحديد البنى الأساسية في السرد لفهم هذه (الرسالة اللّغوية) التي تحمل عالماً متخيلاً من الحوادث، وتشكّل مبنى روائياً يتجاذبه طرفان، الراوي والمروي له .وهو عالم منتظم في وشائجه الداخلية وفي العلاقات التي تربط بينها، وتديره آلية اشتغال مكوناته الرئيسة الثّابتة وهي:

1- الراوي

2- المروي، المسرود

3- المروي له

لم ترتكن دراسة البنية السردية إلى نوع من الاستقرار إلاّ بعد أن توضحت مقولة (الرؤية السردية) التي انبثقت عنها مجموعة مصطلحات هي: (الصوت – الصيغة – المسافة – التبئير – وجهة النظر – زوايا الرؤية) وغيرها من مصطلحات أو مقولات سعت لتمكين علم السرد بوصفه نظاماً تأليفياً له آلية عمل تستدعيها البنية السردية.

الخطاب السردي هو الشكل الأمثل لتجسيد عملية السرد، ولذلك كان لا بد أن يتميز فعل الكتابة فيه بأسلوب يرتقي بهذا المنتج من مستوى النثر العادي إلى مستوى النثر الأدبي الجمالي المعبر عن خصوصيته بوصفه نصاً فنياً.

استند المنهج البنيوي إلى أنّ الخطاب السردي في النص الروائي (شكل لسانّي) يتضمن المعنى ويحتويه، وأن بنيته مكتفية بذاتها،ويتحقّق تفسيرها بما يتضمنه النص السردي ذاته، لأنّ البنية اللسانية تحمل الدلالة وتنتجها أيضاً.

"تودوروف" في سياق دراسته للخطاب السردي اعتمد على تقسيم مستويات الخطاب كالآتي:

أ –المستوى الدلالي : يبحث في العلاقات السياقية والدلالية التي تربط بين وحدات النص.

ب –المستوى اللّفظي : الذي يعنى بدراسة الكلمات باعتبار أنها (دليل).

ج –المستوى التركيبي : الذي يتشكّل من تآلف مجموع أبنية الخطاب السردي.

3–البنيوية ودراسة النص الشعري.

إن التحليل البنيوي تحليل ينبثق من النص نفسه، وذلك عن طريق تأمل الناقد عناصر النص وطرق أدائها لوظائفها وعلاقات بعضها ببعض دون أن يتجاوز حدود النص إلى أي موقع آخر. و البنيوية لا تؤمن بفكرة الفصل بين ثنائية (الشكل والمضمون) فهما يستحقان العناية في التحليل، إذ إن المضمون يكسب مضمونيته من البنية، وما يسمى شكلا ليس في الحقيقة سوى بنية تتألف من أبنية موضعية أخرى توحي بفكرة المحتوى. [10]

أما إجرائيا فإن البنيوية تتيح للناقد القيام بعملية مزدوجة هي الاقتطاع والترتيب،أي أنها تتوقف عند جزء من النص ترى فيه بنية موضعية للكشف عن وظيفة هذا الجزء وصلته بالأجزاء الأخرى وتأثيره في الكل وتأثره به. [11]

وتعد الناقدة اللبنانية يمنى العيد واحدة من أبرز النقاد العرب المعاصرين الذين عملوا على تبّني واستثمار عدد من المفاهيم والإجراءات المنهجية التي تخصّ التحليل البنيوي، والمبادرة إلى تطبيقها ضمن مجموعة من الدراسات والأبحاث النقدية المنشورة التي نذكر من بينها، على سبيل المثال لا الحصر "في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة–بيروت، الطبعة الأولى1983.

تحاول "يمنى العيد"من خلال مؤلَفها ذلك « الاقتراب من مدار المقاربة البنيوية للنص الأدبي، حيث تحاول تعرية المادة الجمالية للنصوص الأدبية، وفي ضوء المنهج البنيوي . من خلال سؤال مؤداه: كيف يقارب إذا المنهج البنيوي موضوعه الذي قد يكون النص الأدبي؟. وتقدم جوابا لهذه المسألة الحائرة فتنيط اللثام عن ضرورة التمسك بأدوات وآليات ذات طبيعة بنيوية، وأول خطوة في المنهج هي تحديد البنية أو النظر إلى موضوع البحث كبنية مستقلة. وقد تكون هذه البنية نصا شعريا واحدا أو رواية... إلخ».[12]

وترى "يمنى" أن دراسة هذه البنية (المجتمع أو النص أو مجموعة نصوص) يشترط عزلها عن مجالها الذي هو بالنسبة لها خارج وهي خطوة أساسية؛ لأنها خطوة التحضير للعمل أو خطوة ما قبل الدخول إلى المختبر. أما الخطوة الثانية فهي تحليل البنية ويشترط في هذا التحليل أن يكون الناقد البنيوي متسلحا بالعلوم التي تخص موضوعه، ولاسيما علم اللسانيات؛ لأن التحليل البنيوي هو تحليل ألسني بالأساس يجري على اللغة التي ينبني منها النص، ويستهدف التحليل البنيوي كشف عناصر البنية التي تكمن في دراسة الرمز والصورة ، والموسيقى، وذلك من خلال النظر في نسيج العلاقات اللغوية وفي أنساقها، ويجب النظر في البنية العميقة للنص، وأشكال التكرار فيه وكذلك أنساق التركيب للصورة الشعرية التي يوضحها محورا بنية الدلالات اللغوية تعني بذلك المحور الأفقي والعمودي كأن ندرس الصورة الشعرية على مستواها اللغوي، ونكشف الدلالات التي ينتظمها المحور الأفقي، وهي دلالات تتعلق بالجذر التركيبي، ثم الدلالات التي ينتظمها المحور العمودي وهي دلالات تتعلق بالتداعيات أو الإيحاءات .[13]

و في هذا الصدد تجدر الإشارة إلى محاولة الناقد المغربي محمد بنيس في مقاربته بظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب، حيث توصل فيها إلى القول بأن المتن الشعري المعاصر في المغرب محكوم بقوانين ثلاثة هي: قانون التجريب، وقانون السقوط والانتظار وقانون الغرابة.

و ما يستخلصه محمد بنيس في حديثه عن المقاربة البنيوية للنصوص، أن البنيوية باتجاهاتها المتباينة « تعامل النص كعامل ذري مغلق على نفسه، وموجود بذاته، فتدخل تبعا لهذا المفهوم في مغامرة الكشف عن لعبة الدلالات» .[14]

لذلك؛ فالاختيار المنهجي الذي ارتضاه محمد بنيس يستند إلى منهج (غربي) يقوم على رافدين اثنين هما: البنيوية الشكلية من جهة والمنهج الاجتماعي الجدلي من جهة ثانية، أو ما عرف في النقد الفرنسي المعاصر بمنهج "البنيوية التكوينية tructuralisme génétique " وراهن الباحث في هذا الاقتباس بشكل كبير على مجموعة من المفاهيم الإجرائية التي سطرها رائد هذه لمنهج " لوسيان غولدمان " كمفهوم التماثل البنائي والبنية الدالة والفهم والتفسير والتناظر فيما بين بنية المتن الإبداعي والبنية الذهنية للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المبدع.

و ثمة صوت ثالث من أصوات النقد الأدبي حاول متعاليا ومدويا التأسيس لمقاربة بنيوية تستهدف هذه المرة قراءة النص الأدبي انطلاقا من مستويات متعددة يؤدي تضافرها إلى الكشف عن الدلالات الخفية التي تتضمنها بنيات النص وذلك من خلال النظر إلى مختلف العلاقات التي تربط بنيان النص بدءا بالوحدات الصغيرة كالفونيم انتهاء بالنص الأدبي ككل بوصفه بنية كبرى، وقد تجلى ذلك في القول بمستويات عدة، عرضها صلاح فضل على النحو التالي:[15]

1- **المستوى الصوتي:** حيث تدرس الحروف ورمزيتها وتكوينها الموسيقي من نبر وتنغيم وإيقاع.

2- **المستوى الصرفي:** وتدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي نفسه.

3- **المستوى المعجمي:** وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية التجريدية والحيوية والمستوى الأسلوبي لها.

4- **المستوى النحوي:** وهو خاص بدراسة تأليف وتركيب الجمل وطرائق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية.

5- **مستوى القول:** لتحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة خصائصها الأساسية والثانوية.

6- **المستوى الدلالي:** وهو ينشغل بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة والصور المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة والتي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب والشعر.

7-**المستوى الرمزي:** الذي تقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد الذي ينتج مدلولا أدبيا جديدا يقود بدوره إلى المعنى الثاني، أو ما يسمى باللغة داخل اللغة.

و لكل مستوى من هذه المستويات قوانينه الثابتة مثل قواعد النحو والعروض والبلاغة وشبكات التداعي، وقوانين الدلالة ومنطق الصور والمواقف الأيديولوجية والثقافية المتطورة، ولعل دراسة جميع هذه

المستويات كل واحدة على حده من جهة أو في علاقاتها المتبادلة وتوافقاتها والتداعي الحر فيما بينها والأنشطة الخلاقة المتمثلة فيها من جهة أخرى، هو ما يحدد في النهاية البنية الأدبية المتكاملة.

إن ما يجب مراعاته في التحليل البنيوي هو المحور الأفقي والاستبدالي، ففي التقسيم للشعر مثلا يقام هيكل النظم وتوزيعه. أما في النثر فإن الوحدة تبدأ من الفقرة إلى الفصل حتى تشمل الكتاب بأكمله، ويمكن رصد الروابط النحوية التي تصل ما بين هذه الوحدات، وبخاصة تلك التي تعود إلى الأجزاء السابقة من النص؛ أما المحور الإستبدالي، فإن اختيار المؤلف لإنشاء عمل أدبي ما إنما هو نقطة الانطلاق في دراسته، إذ إن اختيار جنس أدبي معين يؤثر على قواعد استخدام الرمز. ويبقى تحليل المستوى الإستبدالي، ابتداء من الاختيار الأول للجنس الأدبي وجملة الاختيارات الفنية والأسلوبية الأخرى هو الذي يؤدي إلى اكتشاف مجمل القواعد الدلالية التوليدية ويطلعنا على كيفية عبور المؤلف من الأفكار المجردة التي تتصل بقيمه الأخلاقية والجمالية إلى التجسيمات الأدبية وضروراتها وما يقتضيه من تحولات وانتقالات [16].

و الواقع أن هذه المستويات السبعة هي بمثابة معالم عريضة للدخول إلى عالم النص الأدبي بهدف استجلاء مكامنه الجمالية وستائره الخفية، وقد أجاد صلاح فضل في استنباط هذه المستويات من مختلف المقاربات البنيوية، حين عدها بهذه الكيفية وهذا التركيب ابتداء من الحرف انتهاء بالتراكيب الكبرى التي يشغلها ملفوظ القول، وما يكتنزه نسيج ذلك الملفوظ من إيحاءات وإيماءات تجعل النص الأدبي ذا لغتين: اللغة الأولى ؛ هي اللغة التي كتب بها النص، أما اللغة الثانية فهي اللغة التي تختفي خلف النص أو هي ميتافيزيقا النص، والقارئ البنيوي هو الذي يجعل هذه المستويات مفيدة أو غير مفيدة فاستخدامها يبقى رهينا بثقافة موسوعية تنحدر من علوم ومعارف مختلفة كعلم الأصوات والعروض وعلم النحو والصرف والدلالة والسيميائية. وما إلى ذلك من العلوم الأخرى.

إضافة إلى ما سبق؛ قدم "محمد عزام" في كتابه "تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية " أهم التطبيقات البنيوية على الخطاب الشعري، وتتمثل في: الصورة الشعرية، فضاء القصيدة، الإيقاع الشعري، الأنساق البنيوية.

---

[1] عمر مهيل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 3، 2010، ص 21.

[2] زكريا ابراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، د ط، 1976 ، ص35.

[3] المرجع نفسه، ص 39.

[4] جان بياجيه، البنيوية، تر :عارف منيمنة، يشير أ وبري، منشورات عويدات، بيروت –باريس ، ط4، 1985، ص 8.

[5] ينظر: محمود أحمد العشيري، الاتجاهات الأدبية و النقدية الحديثة دليل القارئ العام، ميرث للنشر و المعلومات، القاهرة، ط 2 ، 2003، ص56 -57.

[6] زكريا ابراهيم، مشكلة البنية، ص 37.

[7] سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، الأفاق العربية، القاهرة، ط 1،2001، ص134.

[8] عامر مصباح، مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، دار الكتاب الحديث، مصر ، القاهرة، د ط ، 2009 ، ص 168.

[9] سحر شبيب، البنية السردية والخطاب السردي في الرواية، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، سوريا، المجلد 4، العدد 14، 2013، ص 111 وما بعدها.

[10] ينظر: صلاح فضل، نظرية البنيائية في النقد الأدبي، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1997، ص 203.

[11] بشير تاوريريت، نظرية التحليل البنيوي للنص الشعري في كتابات النقاد العرب المعاصرين، أعمال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، فيفري، 2007، ص 119.

[12] المرجع نفسه، ص نفسها.

[13] ينظر : يمنى العيد، في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة،، بيروت، 1983، ص35 – 36.

[14] محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1 ،1979 ، ص 21.

[15] بشير تاوريريت، نظرية التحليل البنيوي للنص الشعري في كتابات النقاد العرب المعاصرين، ص 121.

[16] ينظر : صلاح فضل، نظرية البنيائية في النقد الأدبي، ص .324-321 .